

أنا وأنت على الطريق طريقة الشعرة بترويض الزوج

هل سمعت بطريقة الشعرة في ترويض الزوج؟ تعالي معي سيدتي لنستمع إلى ما جاء في هذا التقرير الذي يفتح بصورة كاريكاتورية لزوجين يقول فيها الزوج: أنا كلمتي هنا زي الساعة، والصورة الثانية تظهر المرأة وقد حملت في يدها خشبة المطبخ وفي اليد الأخرى تشد جلابيته نحوها، عندها يقول الزوج أقصد كلمتي لا تقدم ولا تؤخر زي الساعة أرايت يا سيدي؟ مضحك مبيك لا أعلم ماذا أقول. لكن هل هذا ما يظنه الرجل حقا؟ وهل هذا هو السائد في المجتمع العربي الذكوري يا ترى؟ بالطبع إنه العكس.

على كل حال يبدأ التقرير بقصة طريفة تقول: تحكي إحدى الأساطير القديمة عن امرأة جاءت لأحد الحكماء تطلب منه أن يجد لها طريقة ليحبها زوجها حبا شديدا وتستطيع ترويضه وتملك قلبه فقال لها: إن ما تطلبينه يحتاج تكلفة ومخاطرة ولن يتحقق إلا إذا أحضرت شعرة من رقبة الأسد. وبالفعل ذهبت المرأة وهي تفكر في كيفية الحصول على الشعرة المطلوبة، واستشارت من تثق في حكمته فقبل لها إن الأسد لا يفترس إلا إذا جاع وعليك أن تشبعيه وتحسني التعامل معه حتى تسلمي من شره. وذهبت في اليوم التالي إلى الغابة وبدأت ترمي للأسد قطع اللحم وتبتعد. واستمرت في ذلك إلى أن ألفت الأسد وألفها مع الوقت. وجاءت اللحظة التي تمدد بجانبها الأسد وهو لا يشك لحظة في محبتها له ، ووضعت يدها على رأسه وأخذت تمسح على شعره ورقبته وأخذت الشعرة بهدوء وأسرعت إلى الحكيم. وعندما شرحت له خطتها لترويض الأسد قال لها: إن زوجك ليس أكثر شراسة من الأسد فافعلي معه ما فعلت مع الأسد لتملكيه.

قصة طريفة فعلا، وتشبيهه أطرف للعلاقة بين الزوج وزوجته أليس كذلك يا سيدتي؟ على كل إذا عدنا إلى ما شارك به التقرير أيضاً من الناحية العلمية فسنجد بأن الدراسات وأطباء الصحة النفسية يؤكدون أن المرأة أكثر منطقية من الرجل وهي قادرة إذا ما استخدمت مهاراتها على استيعاب الرجل واحتوائه. ويرجعون السبب إلى الألياف العصبية في المخ والموصلة بين القسم الأيسر الذي هو المنطق والقسم الأيمن الذي هو قسم العواطف . فهو أقوى عند المرأة بالمقارنة مع الرجل. مما يجعل لدى المرأة القدرة على التعامل مع الحدث بمنطقية وعاطفية أكثر من الرجل. لذا تتجح النساء غالبا في استخدام المنطق لحل المشكلات التي تواجههن. وينصح الخبراء أن نتقرب من زوجك وأن تظهره حبك وحنانك واهتمامك به، وكوني دائما الزوجة المطيعة الخادمة لزوجها ولكن هذا لا يعني قهره وإذلاله. ويلخص خبير استشاري في العلاقات الأسرية مجدي ناصر بعض الأساليب التي تحد من الطباع القاسية للزوج في التالي:

دائماً تحلّي بالهدوء التام وضبط الأعصاب. كوني مستعدة للتعامل معه في أي وقت بتأنٍ. لا تحاولي إثارته كوني دائماً مصغية جيدة له وواقفة من افكارك وآرائك ولا تتردد في عرض ذلك بثقة تامة. وأخيراً استعملي بعض كلماته حين عرضك لأي موضوع. إلى هنا ينتهي التقرير.

فهل الأمر إذن يا سيدتي هو بالترويض؟ بالتدريب؟ أم بالرضخ؟ أم بالقهر؟ أم بالاحترام المتبادل؟ بالمحبة؟ بالكرامة؟ بالاعتبار كلٌّ للآخر؟ يعلمنا الكتاب المقدس الذي هو كلمة الله الحية بأنّ العلاقة بين الرجل والمرأة هي علاقة سامية لأن الله وضع أسسها ومبادئها. فحين يقول مثلاً بولس الرسول بوحى من الروح القدس: "أيها الرجال أحبوا نساءكم" يريدون أن يكونوا هم المبادرين في الود والمحبة والاحتضان للزوجات وليس العكس كما سمعنا من التقرير الذي يعكس تماماً أفكار المجتمع الذكوري الذي يصوّر الرجل أسداً. وما علينا نحن النساء إلا أن نخافه ونهابه ونطيعه ونحتويه وهكذا نروّضه ونكسبه. وحين يقول أيضاً للرجال كيف يحبون نساءهم يفسر لهم: كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها.. كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم. من يجب امرأته يحب نفسه. فإنّه لم يبغض أحد جسده قط، بل يقوته ويربيه. وأما أنتم الأفراد فليحب كل واحد امرأته هكذا كنفسه وأما المرأة فلتب رجلها". ويوصي النساء أيضاً بالروح القدس ليقول: أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب. وقبل هذا وذاك يقول أيضاً: خاضعين بعضكم لبعض في خوف الله. (أفسس ٥)

إذن نتعلّم من هذه المبادئ الإلهية يا سيدتي، بأنّ المحبة المطلوبة هي مثل محبة الزوج لنفسه. والمهابة والاحترام تأنيان من الزوجة كردّ فعل للمحبة المضحية. وهذا لا يحدث إلا أن يكون تلقائياً وليس قسراً أو جبراً أو خوفاً أو رعباً كما أوحى لنا التقرير يا سيدتي. والأمر الأساس كما أشار إليه الرسول بولس هو في الآية المفتاح التي قال فيها: خاضعين بعضكم لبعض في خوف الله. فإذا لم يخضع الإنسان أياً كان الله في حياته أولاً، لا يمكن أن يتعلم الاحترام والخضوع والمهابة أو أن يكتسبها. فروح الهيبة والخضوع والمحبة المنسكبة في القلب التي تحب كالنفس مصدرهما كلاهما الله نفسه الذي قدّم لنا مثلاً حقيقياً في المحبة أولاً إذ بذل ابنه الوحيد من أجل خلاص البشرية من عقاب الخطية. وكذلك في المسيح نفسه الذي خضع تلقائياً لمشيئة الأب السماوي إذ أطاع حتى الموت موت الصليب ليقوم بعمل الفداء للبشرية جمعاء. فهل من حب أعظم من هذا؟ ما أحرانا أن نتمثل به جميعاً رجالاً ونساءً وهكذا نعيش في سلام وانسجام ووثام مع شركاء حياتنا وشريكات حياتنا. فهل نخضع أولاً لله يا سيدتي؟ وأنت يا سيدي؟